



جوزيف عون... يترحّل باكراً، ليرقد بسلام في ثراب "جبال الصوّان"

ورحل الأستاذ جوزيف...
رُسمًا، لأن كبار القلوب تفتت أجسادهم باكراً فيترخّلون...
رسمًا، لأنه اطمأن إلى برّيان وريبال ومروان، ومعهم إلى سبعة وثلاثين عامًا من عمر المواكب، وإلى الآب والآب من طلبتها الذين نهلوا من معينها ثقافة الحياة.
رسمًا، لأنه اشتاق إلى الثراب الذي جاء منه؛ فش إلى "جبال الصوّان" الرحال؛ لينتقي من صنوبراتها جزألاً يقطي فيه جبران وعاصي، ومنصور... فيخرج لهم هناك منسجحة جديدة لأجيال ولدت، ولأخرى لم تولد بعد.
رسمًا، لكن هذا رحل الأستاذ جوزيف، لكنه بقيًا لم يرحل ليخطأ تشقّق إليه، ولم يُسرع بالنعاد لينجده، فهو حبّيب الجميع، والحبّيب الحبيب لا يُنلّ له مقام... ومن أبناء النور هو... وأبناء النور، خطاؤهم تلقى مُنحَنّد ليس فيه انقطاع.
رحل جوزيف تاركًا في قلوبنا عصمة هبات أن تزول؛ للجوزيف عند كل من عرفه وتقرّب إليه وعاشره مُعاشرة المدير والرّاعيل والمعلم والزّيق... عصمة خاصة... حافلة بحيلة بلغتها وفرائدها وخصوصيتها... حافلة نُعطينا الحق في أن نطلق لمواطننا الأعان ونوتع لها ما شأنا من مدى، لكنها لا تُجبر لنا أن نؤمن في الحزن فلفظ من تجربة فريد لمرتب انحاز بامتياز إلى ثقافة الحياة، فخطا إلى المجال الربوي ليخط منه مهنة ورسالته، وهو الذي لزم من شأه على مبدأ أن الفرد جزء من الكل، وأن كل ما فيه للكل، وأن الكل هو وطن خلاص أبنائه لا يكون إلا بالوحي.
أحبّ جوزيف أدب الحياة، وإلّا أن لهذا الأدب قوة وفرة حبيبة على البقاء والتشوير والتعبير؛ فأصرّ بصراحته "مُتلج" في مسرحية "جبال الصوّان"، أن يلقّ الآلات الرّجعية الخلف إلى أجيال تُمارس عليها شقّي التغييرات لتنتفع من ثقافتها، وتخلص من حصاريتها فاختار من مسرحيات الرّجائية بداية، الأصايل عبر المصوّرة، فادّج مع فريفة في تدريب الطلبة عليها وإخراجها، وأدجوا همّ مدّة أداء وتمثيل تيزّ بعفويته وروحه أداء المحترفين، في أصايل سنشغل لنا ولساتر المهتمين بقضايا اللغة طاهرة بحث أن ندرسها بامعان علّما نزيح عن أعياننا عشاوات مُصنّ على التمسك بها، فننتقل كيف انتطاع جوزيف أن يُحبّ المسرحية العربية إلى أبناء الجيل الجديد فينصقون عربيًا وأجنبيًا؛ كي يكونوا ضمن فريفة المسرح، أو يفلتون على حضور مسرحياته بتعجب كبير.
هذا عُضن من قُبض تجربة زلّ من أركان المواكب هو جوزيف عون الذي نوّجه اليوم وداع أخ ورفيق وتعلّم غرس جنبنا حلّ ثقافة الفرح وخبث الحياة، فمن أبناء الحياة هو... وسلام على أبناء الحياة يوم يولّدون، وسلام عليهم يوم يزحلون، وطوبى لذكراهم المُناهضة فرخا في قلوب المحبّين...